21/12/2012 **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

صفة الصفوة

أبي سعيد الخَرَّاز (2)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين، وبعد:

نحن نقرأ في كتاب صفة الصفوة والكتاب يتحدث عن سير أولياء هذه الأمة والهدف من القراءة أن يعلق قلبك بواحد منهم فتعمل بعمله فتلحق برتبته.

مطلوب منا أيها الإخوة قبل أن يموت أحدنا أن يُبقي لنفسه ذكراً في الأرض وفي السماء.

هب أنني لا أفقه شيئاً في التجارة، ولي من العمر ثلاثون سنة، فإذا سألتكم –وفيكم تجار لهم أسماء مشهورة ومعروفة في البلد أو خارجها– إن أردت العمل في التجارة وهدفي أن أصنع لنفسي اسماً معروفاً بكل الوطن العربي **فكم سنة علي أن أعمل ليكون لي هذا الاسم؟**

تحتاج لحوالي ثلاثين أو أربعين سنة إذا كنت موفقاً، فإذا كان عمري ثلاثين سنة، فبالكاد أن ألحق ليكون لي ذلك الاسم أو لا ألحق.

فإذا أردت أن يكون لك اسماً في السماء فكم تحتاج من الوقت ليعرفك أهل السماء؟

تعالوا قبل أن نموت نسعى ليكون اسمنا معروفاً في السماء.

هؤلاء القوم الذين نقرأ قصصهم سبقونا في هذا الأمر ولا أحدثك عنهم إلا ليعلق قلبك بواحد منهم فتعمل عمله فلتحق برتبته.

الشيء المتفق عليه بيننا وصار محفوظاً بيننا واتفق عليه كل الأولياء أنك إذا أردت دخول الولاية فمطلوب منك ثلاثة أشياء:

1- ترك الحرام.
2- إتقان الفرائض.
3- أداء ما استطعت من النوافل.

هذه الثلاثة هن الباب الذي يدخلك إلى الأولياء

قال تعالى ألا ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، [يونس: 62-63]، فهذه هي صفة الأولياء ونحن والحمد لله مؤمنون.

والتقوى هي: فعل المأمورات وترك المنهيات.

فالمنهيات: ترك الحرام.

والمأمورات: إما فرائض وإما نوافل، وهذه هي الولاية.

ابق بعملك ومدرستك وجامعتك وعلاقاتك الأسرية وما عليك إلا ضبط هذه الثلاثة، وبعد ذلك نجتهد بالتمايز حتى يكون لكل واحد بيننا رتبة عند الله عز وجل.

أبو سعيد الخراز هذا الإنسان مثال لدينا فكان يعمل بالخرز ولم يكن خطيباً أو مؤذناً أو إماماً...

إن الإمام الجنيد كان يقول: (لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد الخراز لهلكنا، قال علي: فقلت لإبراهيم: وأي شيء كان حاله؟ قال: أقام كذا وكذا سنة يخرز ما فاته الحق بين الخرزتين).

أي لم يغب عن ذكر الله ولا لحظة ففي متجره وعمله هو مراقب لله عز وجل.

أحياناً يتصل بك زبون يقول لك: أريد ألف قطعة من هذه البضاعة، فكم ثمنهم؟ تقول له: القطعة بألف ليرة والمجموع مليون، فيقول لك: ابعث لي ألف قطعة وسأبعث لك يوم الخميس دفعة.

وعندما يغلق السماعة يأتيه زبون من غير محافظة ويقول له: أريد ألف قطعة (من نفس النوع الذي باعه قبل قليل، وليس في مستودعه سوى ألف قطعة فقط) وسيدفع له ألف وعشرين ليرة ثمن القطعة.

شرعاً القطع الألف التي بمستودعك خرجوا من ملكك، وصاروا بملك المشتري الجديد، لأن الأصل في البيع الصيغة وهي مؤلفة من إيجاب وقبول وتم ذلك.

فيقول سأسترضي الزبون الأول بكلمتين.

صحيح أنك تستطيع أن تغير الحقائق لكنك يوم القيامة عند الله ليس لك رتبة أبداً؛ لأنك كاذب وغشاش وستفتضح يوماً ما.

قرأت مقولات عجيبة عن التاجر الشامي في الكتب، كان التاجر الشامي معروفاً بكلمته، وكلمته أكبر من أي توقيع وأكبر من أكبر محكمة، لكن الحقيقة سامحوني وخاصة الشباب الذين دخلوا للتجارة حديثاً، يريد أحدهم أن يكون خلال سنوات قليلة مثل أكبر تاجر في الشام يعمل من خمسين سنة فيتعامل بالكذب والغش...

مات أبو سعيد الخراز من ألف ومائتي سنة، ونحن الآن نتكلم عنه؛ لأنه لم يفته الحق كذا وكذا من السنوات ولا بين خرزتين، فهو بكل لحظة مراقب لله عز وجل.

للأسف التجار اليوم إذا رأى أحدهم زبونة كلامها جميل يطيل البيع معها، أما أبو سعيد لم يكن هكذا.

لديه أجير ترك بعد 15 سنة فمطلوب منه أن يعطه تعويض ومكافئة نهاية خدمة، إلا أنه رتب مع المسؤول القانوني لديه ليخرج الموظفين من غير أن يدفع لهم شيئاً، بل يقوم بتشويه سمعته في السوق، والاتصال بالتجار، ليقول لهم: هذا الذي يعمل عندي سرق كذباً وهو كاذب بدعواه.

عن أبي محمد الحريري قال: **سمعت أبا سعيد الخراز يقول: في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم**: ((جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا))، [أبو نعيم]، **(يا عجباً لمن لم ير محسنا غير الله كيف لا يميل بكليته إليه)**.

أنت ترى بأن الله هو المحسن بكل شيء فكيف لا تميل كلك إلى الله عز وجل؟

قال أبو سعيد الخراز: **(المعرفة تأتي القلوب من جهتين: من عين الجود، ومن بذل المجهود)**.

عين الجود: أن يتفضل الله عليك، ويجود برزقه عليك روحياً فيجعلك قريباً منه.

بذل المجهود: أن تبذل ما تستطيع من ترك الحرام، وإتقان الفرائض، وأداء ما استطعت من النوافل.

إذا أردت أن تكون من العارفين فهذان هما الطريقان: بذل المجهود، وعين الجود.

وبعد ذلك تدخل على الله، وتتوسل الله حتى يجود عليك بالمعرفة.

قال أحمد بن محمد الزيادي: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: **(العافية سترت البر والفاجر فإذا جاءت البلوى يتبين عندها الرجال)**.

في الأزمة يظهر التاجر اللص، ويظهر الإنسان المجرم المؤذي، وصاحب الوجاهة الذي يؤذي البلاد والعباد.

أما في العافية والسرور والفرح والراحة وعدم الأزمة فالناس مثل بعضهم البعض.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ((بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ...))، [مسلم].

بعض الناس يتصدقون في الرخاء، أما في الأزمة يقولون: الآن علينا أن نخبئ المال فلا ندري ماذا يحدث. مع العلم أن الصدقة الحقيقية التي تكون في الأزمة، فلا أدري لعلي أموت فما ادخرته ذهب.

بعض الناس حبسوا زكاة أموالهم، فمن قال لهم بأنه يجوز تأخير الزكاة؟

الفقراء الآن بحاجة للمال أكثر من أي وقت، وأنت تمسك بأموال الناس بين يديك.

شاب في مبتدأ شبابه التزم بالمساجد، وعندما أصبح لديه طوقان شديد للنساء، ولا يستطيع الزواج فهو الآن في أزمة خاصة فيه، فابتعدَ من الدين.

فإذا جاءت البلوى يتبين عندها الرجال.

سنراك وأنت أحوج ما تكون للمرأة كيف تنضبط بالشرع في علاقتك معها.

سنرى انضباطك بالشرع وأنت في أحوج ما تكون إلى القرش .

سنرى انضباطك بالمنصب وأنت في أحوج ما تكون إليه.

أما من سقط في البلوى والشدة والضيق فيعني ذلك أن إيمانه يحتاج إعادة بناء من جديد فإذا عرض لمحنة ثانية يستطيع أن يقوم بها.

توفي أبو سعيد الخراز في سنة ست وثمانين ومائتين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

اللهم عجل لنا بالفرج فرجاً محفوفاً بألطافك الخفية بفضل

سورة الفاتحة.